

## ليبيا: إنذارات برلين!



ولا يخفي هذا الإسلام السياسي ولاءه شبه الكامل للرئيس التركي رجب طيب أردوغان. ولا تتناس تلك العلاقة الأردوغانية الإسلامية إلا على قاعدة أيديولوجية كاملة تنهل من الدين "لما فيه خير الأمة" وخير حكم الزعيم التركي ومِنَعَة بقائه. ووفق تلك القاعدة الأيديولوجية يخاطب أردوغان أوروبا، لكن تلك القاعدة تغيب تماما حين يخاطب رجل تركيا القومي دولا مثل روسيا والولايات المتحدة والصين (لاحظ نسبة موقفه من قضية الإيغور). بالمقابل لا تخفي روسيا معاداتها الكاملة لتيار الإسلام السياسي بكافة تلاوينه. وهي في حربها ضد الإسلاميين في الشيشان وباقي الجمهوريات الروسية، لا تفرق كثيرا بين تطرف واعتدال. حتى أن موسكو في تدخلها العسكري في سوريا رفعت عليها شعارات قتال الإرهاب والتطرف، واستهدفت فصائل إسلامية موالية لأنقرة تُقدمها تركيا بصفتها معتدلة "حنونة". وقد ذهبت موسكو، ومن خلال تصريحات وزير خارجيتها سيرجي لافروف التي أبدى فيها "خشبيته من قيام نظام سني في سوريا"، إلى الإفصاح عن وجهة أيديولوجية مضادة وتقيضة لخطاب أردوغان وصحبه.

ومع ذلك فإن في ما يجمع البلدين، في سوريا وفي ليبيا، ما يجعل من العامل الديني هامشيا ملحقا لا مكان له على طاولة المصالح. وداخل لعبة المصالح هذه لا موقف واضحا جليا رسميا في برلين لصالح أي مشروع بريده الليبيين لبلدهم. حتى أن في الرقص على نصوص باهتة ترى أن "الحل ليس عسكريا بل سياسيا"، ما يغذي لدى كافة أطراف النزاع في ليبيا ميولا غرائزية للتعويل على مزاج دولي سياسي يردد منطق الحكومة الشرعية في طرابلس ومنطق البرلمان الشرعي في طبرق.

لا يبق للليبيين بما صدر في برلين، وربما في وضوح الركافة التي يجلس

وعلى الرغم من أن فشل تجارب حكم الإخوان المسلمين هنا وهناك كشف غياب الحدود في مناسبات عديدة بين الاعتدال والتطرف، لا بل وجود أوردية حياة تغذي التطرف من خلال الاعتدال وبالعكس، فإن الرؤية الغربية لم تتغير كثيرا. فهي تقبل بأي بديل يحمي المصالح (كشروط أول وآخر)، دون أن تهمل "الخيار الإسلامي" بصفته احتمالا دائما في منطقة دينها الإسلام.

أن يتبرع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا، غسان سلامة، برفض فكرة إرسال قوات دولية لمراقبة وقف إطلاق النار في ليبيا، فذلك يعني ألا أحد في هذا العالم يرغب في ذلك أو يخطط له. فحتى ما لح إليه منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، من احتمال اللجوء إلى خيارات عسكرية، لم يؤخذ على محمل الجد. بيد أن ما حصل في مؤتمر برلين الأحد الماضي، يُعد مفصلا مهما قد يؤسس إلى تموضع دولي جديد. وقد تتحول المسألة الليبية إلى مناسبة لإعادة صياغة خطوط الممكن والمستحيل ما بين نظام دولي، وآخر قيد التشكل.

غادرت الأمم المتحدة وممثلها في ليبيا حقبة الحل الليبي من خلال الليبيين. كان للاتفاق في الصحيرات عبق داخلي تم التعويل عليه. بيد أن ما انتهى إليه هذا الاتفاق أفرج عن علة داخلية بنوية خبيثة تمنع، وستمنع، الليبيين دائما من الاهداء إلى فردوس توافقهم. وقد يمثل ذلك التصدع الدموي في ليبيا وجها من وجوه اللبس الذي يشوب المجتمع الدولي في مقاربهته لحل المنطقة، ويكشف غياب رؤيته حول ما يراهُ لبلدان المنطقة.

قاد الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما تيارا فكريا غربيا كان يبشر بضرورات الاتفاق إلى حد التسليم بسيادة الإسلام السياسي على المنطقة. بعض هذا التيار الغربي استعان بتجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا واسترشد بتجربة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، لعل في ذلك ما يبسط "إسلاما معتدلا" يؤمن للعواصم الكبرى مصالحها (وهذا الشرط الأول والأخير) ويسخر لامتناص "الإسلام المتطرف" الذي يطل بواجهتيه الشهيرتين، القاعدة وداعش.

على هذا يتفاوت الموقف من الإسلام السياسي بين دولة أوروبية وأخرى، كما يتناقض الموقف من جماعة الإخوان المسلمين بين تيار سياسي وآخر داخل البلد الواحد، ناهيك عن تباينه بين إدارة وأخرى. وعلى هذا تماما يبق هذا المجتمع الدولي متلعثما أمام الحالة الليبية بصفتها تعكس وجهه الحقيقي في عبث التوفيق بين "الأخلاق" و"المصالح"، بغض النظر عما تطور في المنطقة من نزوع حقيقي نحو التخلص من الإسلاموية. تكمن قمة السريالية والغرابة في تلك الشراكة الخبيثة بين تركيا وروسيا. لا تخفي أنقرة رعايتها للإسلام السياسي، بنسخاته المتعددة.

## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
حذام خريف  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة العيوقبي

تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

سيكون على العالم أن يرسم خرائطه في البحر المتوسط، ومن أجل ذلك يبغى الليبيون خارج قاعة الكبار. سيفهم بوتين حدود الممكن والمنوع، وسيكون على أردوغان أن يعيد حساباته التي بدا أن لا رادع لأرقامها. وفيما بدا أن إرسال الولايات المتحدة وزير خارجيتها مايك بومبيو يعبر عن موقف أميركي لافتح جدا في التضامن مع "الحلفاء الأوروبيين"، وبالتالي في رفع بطاقات حمر في وجه أنقرة وموسكو، فإن ما بعد برلين ينتظر وضوحا في طبيعة الأليات التي ستحول ذلك الحدث إلى إرادة تحدث الفارق الكبير على منوال ما فعلته اتفاقية دايتون عام 1995 لحل الصراع في البوسنة والهرسك مثلا.

امتلك غسان سلامة أسلحة جديدة في برلين. صار بإمكانه التسويق لحوار ليبي ثلاثي الأضلاع على طريقة اللجنة الدستورية السورية (13 مثلا لطرابلس و13 للبنغازي و13 للمجتمع

عليها المؤتمر وبياناته، وفي رفض غسان سلامة لفكرة "الردع العسكري" لفرض وقف لإطلاق النار، ما يشي بان العالم ما زال عاجزا عن أن يفرض على ليبيا الحل المتزل. ربما لا يجب التقليل من هذه المهمة الدولية الاستثنائية التي قادت 16 دولة وكيانا للتجمع في برلين. لم يعد الشأن الليبي ليبيًا فقط، هو شأن أوروبي بامتياز. تود أوروبا أن تقي نفسها شرور تلك الفوضى التي تنفث وستنفث سموها صوب أوروبا. لا تريد أوروبا "تسونامي" مهاجرين وتدفق إرهابيين بسبب انهيار سدود ليبيا أمام ذلك. وتريد أوروبا أن تمنع أردوغان من ابتزازها جنوبا بعد أن قبض له ابتزازها بفتح أبواب اللاجئين عليها قبل ذلك. ولا تريد أوروبا أن تستفيق يوما لتجد أن القواعد العسكرية الروسية تتوزع على شواطئ ليبيا المقابلة تماما للشواطئ الأوروبية.

## اللاعقلانية في السياسة الفلسطينية

عليها. أيضا فإن إسرائيل تهيمن على التبادل التجاري الخارجي للسلطة، فقد بلغ حجم استيرادها من إسرائيل حوالي 3.632 مليون دولار سنة 2018 بنسبة 55.5 بالمئة من مجمل وارداتها البالغة 6.540 مليون دولار، في حين بلغ حجم التصدير إلى إسرائيل 967 مليون دولار بنسبة 83.7 بالمئة من صادرات السلطة البالغة 1.156 مليون دولار.

وعلى الصعيد الصراع الميداني، حسب التقرير أيضا، فقد "استشهد 314 فلسطينيا سنة 2018 وجرح 31.603 آخرين، وفي سنة 2019 استشهد 149 فلسطينيا وجرح 15.287 آخرين، في حين قتل من الطرف الإسرائيلي 14 سنة 2018 و9 سنة 2019"، أي بمعدل إسرائيلي واحد إلى عشرين فلسطينيا.

وعلى الصعيد السياسي، فإن مجمل المؤسسات الفلسطينية باتت تعيش شرعية مقادمية ومناكلة، وهذا يشمل المنظمة والمجلس الوطني، كما يشمل السلطة والمجلس التشريعي ومنصب الرئاسة (آخر انتخابات لهما تمت في 2005 - 2006)، وليس ثمة في الأفق ما يوحي بإعادة بناء البيت الفلسطيني بكل أجنحته. في المقابل فإن إسرائيل تتجه نحو انتخابات ثالثة، لتجديد نظامها السياسي، ولتأكيد التداول على السلطة، هذا لا يعني أنها لا تعاني من أزمة، لكن ذلك يعني أن نظامها السياسي من ومنظّم، بحيث يستطيع تجديد ذاته بكل سلاسة، في حين لا يستطيع الفلسطينيون إجراء انتخابات ولا حتى استعادة وحدة الكيان الفلسطيني بين الضفة وغزة، وحتى أن قرارات المجلس المركزي بشأن وقف التنسيق الأمني، ووقف اتفاقية باريس الاقتصادية المتخذة منذ 2015، والتي تم تجديدها في كل اجتماع، لم يتم الالتزام بها، في حين تواصل إسرائيل قضم الأراضي الفلسطينية وتكثيف الاستيطان وتعزيز هيمنتها الإدارية في الضفة.

مناسبة هذا الكلام صدور التقرير السنوي لمركز الزيتونة لعامي 2018 - 2019، والذي يبين بجلاء الفجوة الهائلة بين إمكانيات إسرائيل، وإمكانيات الفلسطينيين، الأمر الذي يفرض إدراكه، والعمل على رسم الاستراتيجية المناسبة التي تخفف من أثره، أو انتهاز الطرق الكفاحية التي تمكن الفلسطينيين من تحقيق إنجازات ولو بالنقاط، والتي تسمح لهم بتقليل الكلفة التي يتكبونها، بحيث لا تشكل طرائقهم النضالية استنزافا لهم أكثر مما تستنزف عدوهم.

وبحسب التقرير، ووفق تقديرات العام 2019، فعلى الصعيد الاقتصادي بلغ الناتج المحلي الإجمالي للسلطة الفلسطينية نحو 16.82 مليار دولار، مقابل الناتج المحلي الإسرائيلي الذي بلغ نحو 390.36 مليار دولار، أي أن الناتج المحلي للسلطة يساوي 4.3 بالمئة من الناتج المحلي الإسرائيلي، ومعنى أن الناتج الإسرائيلي يزيد عن 23 ضعف الإنتاج المحلي للسلطة. وعلى ذلك فقد بلغ متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الفلسطيني في مناطق السلطة الفلسطينية ما معدله 3.600 دولار،

في حين بلغ نحو 43.240 دولار للفرد الإسرائيلي، أي أن الفرد الإسرائيلي يحصل على أكثر من 12 ضعف دخل الفرد الفلسطيني تحت الاحتلال. وفي حين تعتمد إيرادات السلطة الفلسطينية بشكل أساسي على مصادر لا تتحكم بها، إذ نحو 84.3 بالمئة من الإيرادات سنة 2018 جاءت من إيرادات المقاصة التي يجمعها الاحتلال الإسرائيلي ومن المنح الدولية؛ ما يتشكل أداة ضغط هائلة

إليها، وهو التحول من حركة تحرر وطني إلى سلطة، قبل إنهاء الاحتلال، وفقا لاتفاق أوسلو عام 1993، الناقص والمجحف.

وفي محصلة كل ذلك فإن الحركة الوطنية الفلسطينية خسرت ذاتها، وضُيعت شعبيتها، وهُمشت قضيتها، وأضعفت الكيان الوطني الجمعي المتمثل بمنظمة التحرير، ولم تريج السلطة، بواقع بقائها عند حدود حكم ذاتي تحت الاحتلال، وبواقع ضمور شرعيتها الشعبية، وتحولها إلى مجرد سلطة على جزء من شعب في جزء من أرض، في جزء من حقوق، مع كل ما اعترى ذلك من ارتهاج للدول المانحة، وبين سياسات أضحّت متكسفة، ولم يعد لديها ما تضيفه.

وفي الحقيقة فقد أبدى الفلسطينيون قبل إقامة السلطة وبعد إقامتها، كل ما بوسعهم من تضحيات وبطولات في مقاومة إسرائيل، إلا أن مشكلتهم أنهم كانوا يقاومون بعنادهم وبيبايمهم بقضيتهم، بمعنى أن المشكلة كانت تكمن في افتقارهم لقيادة تنظم كفاحهم، وتعين أشكال الكفاح الأنسب لهم، والتي توازن بين تضحياتهم وإنجازاتهم.

وفي الحقيقة فإن كلام الحافظ، مثل أي كلام مماثل، لم يؤثر إلى الدرجة المناسبة في إدراكات القوى السياسية العربية بكل تنويعاتها، على مر العقود الماضية، وضمن ذلك فهو لم يؤثر في الوعي السياسي للفصائل الفلسطينية السائدة، رغم أن قياداتها غرقت في ما يسمى "الواقعية"، أولا، لأنها ظلت تؤسس خطاباتها ومواقفها وطرق عملها، وشرعيتها، على أسس عاطفية أو رغوية أو أيديولوجية أو قدرية؛ وهو ما زال حتى الآن، إن في عبارات قيادة السلطة بأن إسرائيل ستواجه عواقب وخيمة إن فعلت كذا أو كذا، كما في عبارات قيادات حماس والجهد من أن الأرض ستزلزل تحت أقدام إسرائيل، وثانيا لأن تمثل القيادة الفلسطينية، وهي قيادة المنظمة والسلطة و"فتح"، للواقعية لم يعن إلا أمرا واحدا بالنسبة

إليها، وهو التحول من حركة تحرر وطني إلى سلطة، قبل إنهاء الاحتلال، وفقا لاتفاق أوسلو عام 1993، الناقص والمجحف.

وفي محصلة كل ذلك فإن الحركة الوطنية الفلسطينية خسرت ذاتها، وضُيعت شعبيتها، وهُمشت قضيتها، وأضعفت الكيان الوطني الجمعي المتمثل بمنظمة التحرير، ولم تريج السلطة، بواقع بقائها عند حدود حكم ذاتي تحت الاحتلال، وبواقع ضمور شرعيتها الشعبية، وتحولها إلى مجرد سلطة على جزء من شعب في جزء من أرض، في جزء من حقوق، مع كل ما اعترى ذلك من ارتهاج للدول المانحة، وبين سياسات أضحّت متكسفة، ولم يعد لديها ما تضيفه.

وفي الحقيقة فقد أبدى الفلسطينيون قبل إقامة السلطة وبعد إقامتها، كل ما بوسعهم من تضحيات وبطولات في مقاومة إسرائيل، إلا أن مشكلتهم أنهم كانوا يقاومون بعنادهم وبيبايمهم بقضيتهم، بمعنى أن المشكلة كانت تكمن في افتقارهم لقيادة تنظم كفاحهم، وتعين أشكال الكفاح الأنسب لهم، والتي توازن بين تضحياتهم وإنجازاتهم.

وفي الحقيقة فإن كلام الحافظ، مثل أي كلام مماثل، لم يؤثر إلى الدرجة المناسبة في إدراكات القوى السياسية العربية بكل تنويعاتها، على مر العقود الماضية، وضمن ذلك فهو لم يؤثر في الوعي السياسي للفصائل الفلسطينية السائدة، رغم أن قياداتها غرقت في ما يسمى "الواقعية"، أولا، لأنها ظلت تؤسس خطاباتها ومواقفها وطرق عملها، وشرعيتها، على أسس عاطفية أو رغوية أو أيديولوجية أو قدرية؛ وهو ما زال حتى الآن، إن في عبارات قيادة السلطة بأن إسرائيل ستواجه عواقب وخيمة إن فعلت كذا أو كذا، كما في عبارات قيادات حماس والجهد من أن الأرض ستزلزل تحت أقدام إسرائيل، وثانيا لأن تمثل القيادة الفلسطينية، وهي قيادة المنظمة والسلطة و"فتح"، للواقعية لم يعن إلا أمرا واحدا بالنسبة



محمد قواص  
كاتب سياسي لبناني

أن يتبرع ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في ليبيا، غسان سلامة، برفض فكرة إرسال قوات دولية لمراقبة وقف إطلاق النار في ليبيا، فذلك يعني ألا أحد في هذا العالم يرغب في ذلك أو يخطط له. فحتى ما لح إليه منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، من احتمال اللجوء إلى خيارات عسكرية، لم يؤخذ على محمل الجد. بيد أن ما حصل في مؤتمر برلين الأحد الماضي، يُعد مفصلا مهما قد يؤسس إلى تموضع دولي جديد. وقد تتحول المسألة الليبية إلى مناسبة لإعادة صياغة خطوط الممكن والمستحيل ما بين نظام دولي، وآخر قيد التشكل.

غادرت الأمم المتحدة وممثلها في ليبيا حقبة الحل الليبي من خلال الليبيين. كان للاتفاق في الصحيرات عبق داخلي تم التعويل عليه. بيد أن ما انتهى إليه هذا الاتفاق أفرج عن علة داخلية بنوية خبيثة تمنع، وستمنع، الليبيين دائما من الاهداء إلى فردوس توافقهم. وقد يمثل ذلك التصدع الدموي في ليبيا وجها من وجوه اللبس الذي يشوب المجتمع الدولي في مقاربهته لحل المنطقة، ويكشف غياب رؤيته حول ما يراهُ لبلدان المنطقة.

قاد الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما تيارا فكريا غربيا كان يبشر بضرورات الاتفاق إلى حد التسليم بسيادة الإسلام السياسي على المنطقة. بعض هذا التيار الغربي استعان بتجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا واسترشد بتجربة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، لعل في ذلك ما يبسط "إسلاما معتدلا" يؤمن للعواصم الكبرى مصالحها (وهذا الشرط الأول والأخير) ويسخر لامتناص "الإسلام المتطرف" الذي يطل بواجهتيه الشهيرتين، القاعدة وداعش.

ماجد كيالي  
كاتب سياسي فلسطيني

في كتابه "اللاعقلانية في السياسة العربية" (دار الطليعة، بيروت، 1975) أعلن ياسين الحافظ اكتشافه فكريا أو مصطلحي "الواقعية الثورية"، و"موازين القوى"، مؤكدا تأثير ذلك على إدراكه السياسي. وعن ذلك يقول الحافظ (1930 - 1978) "الواقعية الثورية.. منحتني أدوات جديدة في التقييم السياسي، ليس لها مكان أو اعتبار لدى الرومانسية الثورية. أولى هذه الأدوات مقولة ميزان القوى وتأثيره على العلاقات الدولية، سواء في زمن السلم أم في زمن الحرب. احتلت هذه الأداة مكانا مركزيا في تصوراتي وتحليلاتي السياسية، ولم تلبث أن لحقت بها أدوات أخرى: المصلحة، الفائدة، مفاعيل الزمن، بتأثير من الواقعية الثورية أيضا أخذت أنزع عن ميزان القوى العربي الإسرائيلي الأوهام التي نثرتها النرجسية القومية، والمعجز عن نقد الذات، وقررت العوامل المحلية عن العوامل الدولية في هذا الميزان، الأمر الذي قادني إلى قراءة جديدة للصراع العربي - الإسرائيلي، كشفت لي كيف سهّل الفوات والتأخر العربيان قيام دولة إسرائيل، وكيف سهلا ويسهلان توسعها بعد قيامها".

وفي الحقيقة فإن كلام الحافظ، مثل أي كلام مماثل، لم يؤثر إلى الدرجة المناسبة في إدراكات القوى السياسية العربية بكل تنويعاتها، على مر العقود الماضية، وضمن ذلك فهو لم يؤثر في الوعي السياسي للفصائل الفلسطينية السائدة، رغم أن قياداتها غرقت في ما يسمى "الواقعية"، أولا، لأنها ظلت تؤسس خطاباتها ومواقفها وطرق عملها، وشرعيتها، على أسس عاطفية أو رغوية أو أيديولوجية أو قدرية؛ وهو ما زال حتى الآن، إن في عبارات قيادة السلطة بأن إسرائيل ستواجه عواقب وخيمة إن فعلت كذا أو كذا، كما في عبارات قيادات حماس والجهد من أن الأرض ستزلزل تحت أقدام إسرائيل، وثانيا لأن تمثل القيادة الفلسطينية، وهي قيادة المنظمة والسلطة و"فتح"، للواقعية لم يعن إلا أمرا واحدا بالنسبة